كلمات لنابغة الشرق

الأفرنسوي

ان أكبر ما تعاب به الاشتراكية المتطرفة هو نفخ الخامل والكسول والجبان وايهامهم انهم في الدنيا الكل في الكل ، والقضاء على تلك المكرمات الانسانية وتلك الصفات النبيلة ، صفات القناعة والنزاهة والخضوع والرقة والتهيب أمام الاشياء العظيمة الجليلة التي هي أثمن ارث في متحف العصور ، والمناداة بصلاح ما يناقضها

يهدم التطور صوراً قديمة ويُبدع صوراً جديدة على يد أشخاص يخلقهم التطور نفسه وقل من فهمهم في محيطهم ، وكلما تعالوا الى المثل الاعلى أفرط العامة في الاستخفاف بهم ودفعهم عنهم لأنهم « لا يشبهون جميع الناس » على أن نفوذ هؤلاء الافراد وفوزهم النهائي انما يتعلق بما عندهم من شجاعة واقدام واعتقاد بأن الحرية الفردية المطلقة يجب أن تكون دعامة المدنية الجديدة الحقة . لأن الانسان حرّ . ولو كانت فكرة الحرية وهماً لوجب الأخذ بها لانها وهم ضروري للرقي

الوطنية ! يا للكلمة الساحرة المنبهة كل فكر ، الملهبة كل قلب ، الشاحذة كل عزيمة ! لقد كانت دواماً عظيمة حتى في معناها الضيق يوم كانت تحسب البلاد كل العالم ، وأهل البلاد الشعب المصطفى الأوحد . ولقد كانت في معناها الواسع عاطفة رحيبة امتازت بها النفوس الحرة في كل زمان ومكان غير أنها شاعت وصارت لكل أمة ناهضة منذ قرن وبعض قرن بعد أن هدم بنو الفرنسيس جدران البستيل ناشرين على حدود الوطنيات أعلام الثورة الفكرية ، وجاعلين الاقطار تجاوب أصداؤها بتلك الآيات الثلاث المعلنة حقوق الانسان وهي — من ذا لا يعرفها ؟ — : حرية ، مساواة ، اخاء

ولكن لا نتقمن على الألم فهو مغذي الذكاء ومهذب الشعور ومنبه الادراك الى معان جمة وأساليب فكرية كثيرة . ان صاحب العواطف القوية شقي اذا ما ذكرنا أن هذه العواطف تعذبه في كل حين وتظل حامسة له بالشكوى حتى في أعذب ما يناله من لحظات السعادة النادرة . لكن هذا العذاب بعينه هو ممزق غشاء الجبل والأنانية عن بصر فريسته وهو مستنزل الوحي على فؤاد نهشته براثنه حتى أدمته . هو مفجر ينابيع النعى . هو يعطي القلم قوة تبدع من الكلام سبوقا وبروقا ويحبو اللسان بلاغة تمتلك القلب لانها تخابره مباشرة بلا وسيط . وماذا عسى ينفع الحديث ان لم يكن مصدره القلب وما هي قيمة الاصلاح ان لم يكن ناشئاً عن ادراك تكوّن ليس في العقل وحده بل في العواطف المسحوقة وما تتبه اليه من احتياج كثير؟ ونظرة الكاتب ان لم يطل فيها خيال القلب المتوجع ليست الا بالنظرة الباردة القاصرة التي لا تنفذ الى ما وراء قشرة الظواهر ويظل باب النفس باب الحقيقة أمامها مغلقا مجهولا !

لماذا يشفق الرجل على المرأة؟ لأنها تقضي حياتها ثانية في ثلج هوة لا يعرف هو منها الا الشاطئ، وهي هوة العواطف . فالرجل كبرياء المجولات الفكرية والاطلاع المتزايدة والقوة البدنية . أما المرأة فهما ارتفعت وتناهت نشاطاً ورغبة في تسنم ذرى الفكر ليست بقادرة على أن تستخرج من نفسها آثار ذلك الارث الذي أودعتها اياه يد العصور وهو قوة الشعور قوة الحب التي تخلق من الكائن المرائي الذهني إلاهة سامية بهية

ما أسرع ما تتمزق أثواب الورد . وما أتعس القلوب الشديدة التأثر ! يمر النسيم العليل على الازهار النضرة فتتمزق بوطئه جلابيبها وتنثر ورقاتها . كذلك تكفي ملامسة الألم للنفس المنفردة ليثير منها الاشجان ويستقطر من محاجرها العبرات .

من الرجال من يكتفون بالمجد والوجاهة والفخر ، ومن النساء من لا يفهمن الحياة الا بالزينة والغنى وارتفاع القدر

أما أنا فلا هذه العطايا تغريني ولا تلك المواهب تستهويني . شيء واحد تام الجمال في تقديري وهو ما يشترك في تركيبه قسم كبير من الفكر وقسم أكبر من القلب . شيء واحد . ينبه اعجابي وهو ما كان مترفعاً عن الصغائر والدنايا هو زهرة نادرة المثال شمس الذكاء والمعرفة تحييها ومياه العواطف العذبة تروّيها ما أتعس القلب الحساس وما ألينه لا ستحكام الجراح في ثنياته !

مذكرات سائح ألماني

بنات جزيرة ساموا

جزيرة ساموا احدى جزر المحيط الهادي يقصدها المسافرون من سان فرنسيسكو . بلغنا هذه الجزيرة ورأينا فيها من الغرائب ما يحير الالباب ويدهش العقول واني أصف بالايجاز بنات هذه الجزيرة فأقول :

جلست ذات ليلة على ظهر الباخرة الراسية في مياه ساموا أتلاهى بمطالعة كتاب علمي فوصلت مسامعي أصوات غناء مطرب فتركت الكتاب وجعلت اسمع لعلي أقف على الجهة الآتي منها الغناء وكانت الليلة حالكة السواد وما عتمت حتى رأيت زوارق عديدة مستطيلة تمخر عباب البحر وكلما كانت تدنو من الباخرة يصبح الغناء واضحاً ثم حمل الينا الهواء رائحة أزهار عطرة تنعش الافئدة وتشرح الصدور وما هي الا فترة من الزمان حتى رأينا نحو مائة فتاة صاعدات بكل سكون على سلم الباخرة ويرافقهن بعض الصبيان وثلاث عجائز وعدة رجال ولما صعدوا الى الباخرة دنوا منا وصافحونا بدون وجل أو كلفة . والقت الفتيات علينا عبارة التحية التي يحيي الاهالي بعضهم بها وهي « شالوفا » ومعناها الحرفي أنا أحبك وقالت احداهن لنا انهن أتين الينا بأمر ابائهن ليرقصن لنا رقص ساموا المعروف عندهم